

الإستراتيجية الخطابية

الدكتورة: فريدة لعبيدي

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف-

الملخص:

تعد الإستراتيجية الخطابية من بين أهم المقولات التداولية التي تفصح عن خطط وتقنيات المتكلم في عملية تركيبه وإنتاجه للخطاب من اجل التأثير في المتلقي. فلكل فرد استخدامات لغوية خاصة تحققها له كفاءته التداولية في الخطاب وفقا لما يمليه عليه السياق. وكل مقتضيات العملية التواصلية الثقافية.

Summary

The strategies of the discourse is one of the most important pragmatic statements that reveal the plans and techniques of the speaker in the process of composition and production of speech in order to influence the recipient, each individual uses specific language to achieve his pragmatic efficiency in speech according to the context dictated, and all the requirements of the process of cultural communication.

تمهيد :

يتوخى المرسل في العملية الخطابية التواصلية بينه وبين المرسل إليه خططا معينة في خطابه ، وذلك باستخدام أنساق لغوية وأدوات معينة يختارها المرسل لتحقيق هدفه في التواصل وفقا لسياقات مختلفة، تملها عليه مواقف اجتماعية مختلفة .

ولكل فرد اطرادات لغوية تجسدها كفاءته التداولية في الخطاب، وهي في الأصل سلسلة من الإجراءات الذهنية والعمليات العقلية التي تمكنه من الارتفاع في الأداء القولي ومنه تحقيق ما يريد من خطابه، وتسمى تلك الإجراءات بالاستراتيجيات فماذا نعني بالإستراتيجية عامة وإستراتيجية الخطاب خاصة .

1- الإستراتيجية في المفهوم العام : تجمع أغلب المعاجم والموسوعات على أنّ أصل كلمة إستراتيجية في الفرنسية (stratégie) وفي الانجليزية (strategy) مشتقة أصلا من الكلمة اليونانية " استراتيجوس " (stratigos) بمعنى فن القيادة (art of generalship) ⁽¹⁾ من "stratos" وهو الجيش وفعل (agein) بمعنى قاد وهنا تكون (stratégos) هي قائد الجيش و (stratégia) هي فن قيادة الجيش أو " فن قيادة

الحروب⁽²⁾. إن كلمة إستراتيجية تابعة في الأصل إلى المجال العسكري، وهاهي دائرة المعارف البريطانية تشير إلى أن كلمة "ستراتيجوس" (strategos) التي اشتقت منها لفظة "استراتيجية" كانت ترمز إلى قائد قبيلة من القبائل العشير المماثلة في جيش أثينا، وهذا يدل على حضور هذه اللفظة في التفكير اليوناني على أنها مرادفة لقائد القوات .

أو الأمير أو الحكم الذي يجمع في وقت الحرب بين السلطة السياسية والعسكرية⁽³⁾ وهو المعنى الذي علق بالفكر الإنساني واستقر إلى وقت طويل، فقد نشأ مصطلح الاستراتيجية في المجال الحربي العسكري لاستعماله على وجه الخصوص في تسيير المعارك وإدارة الحروب وعلى أنه تنظيم وترتيب، بل فن لها، وذلك هو الحيز المعرفي الذي تطور فيه مصطلح استراتيجية، واتصف به حتى صارت له فيه نظريات وأعلام، وعلى هذا المسار سارت معظم المعاجم والقواميس العربية والمعاجم اللغوية العربية^(*). ومع نهاية القرن الثامن عشر (18ق) وبداية القرن التاسع عشر (19ق) أثرى اصطباغ العلوم و المعارف الاجتماعية والإنسانية بقدر عال من العلمية الاستقلالية كتب لهذا المدلول شرعية جديدة خارج مجال استعماله الأصلي بشر إلى قيادة فن جديد هو فن الكلام أو الخطاب بالنظر إلى المجال التداولي لاستعماله، فالإنسان يمارس أفعالاً كثيرة في حياته يبتغي من ورائها تحقيق أهداف بعينها وهو يعجز على ممارستها بمعزل عن سياق اجتماعي أو بمعزل عن المجتمع الذي ينتمي إليه، فيكون إلزاماً عليه اتخاذ طريقة معينة يتمكن بها من مراعاة كافة الأطر والمعاليم التي تحف عمله أولاً [عناصر السياق]، وقدرته على تحقيق هدفه ثانياً فيصطلح على هذه الطريقة بالاستراتيجية⁽⁴⁾.

اتسع هذا المفهوم وغدا أكثر المفاهيم تداولاً، وقد تجاوز في استعماله حدود اللغة الواحدة إلى لغات الأرض كلها، وأصبح علماً وفناً يزاوله الجميع لا يقوم على أساس التجربة الفردية كما كان يحدث في الماضي، بل دالاً على قواعد تخطيط أو فنون التدابير في جميع مجالات الحياة المعاصرة ليلبي الحاجة إليه من قبيل اللسانيين (للتعبير عن البرامج والتخطيط) والمفكرين والباحثين والاجتماعيين والاقتصاديين (للتعبير عن البرامج والتخطيط والطرائق الفعالة المحققة لأهدافها ومجموعة المبادئ والأسس والخطوط العامة الموصلة إلى غايات مقصودة متوخاة⁽⁵⁾).

إن تعدد الاستراتيجيات يوازي بدوره تعدد الظروف المحيطة بما يكون مناسباً في سياق ما ، قد لا يكون كذلك في سياق غيره، وبهذا فإن تغير بعض العناصر، يستتبع تغييراً في الاستراتيجية المنتقاة لتحقيق الهدف لأن الإستراتيجية ماهي إلا : " طرق محددة لتناول مشكلة ما ، أو القيام بمهمة من المهام

أو مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها ⁽⁶⁾.

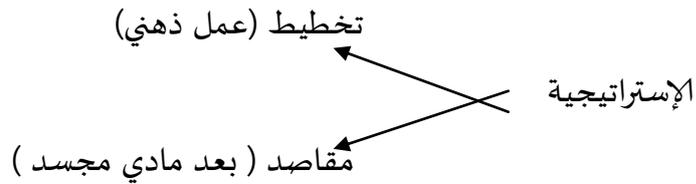
ومن خلال التعاريف السابقة نهض صرح الاستراتيجية ليعبر عن عصارة جهود فلسفية وفكرية، وثقافية واجتماعية تراكمت لتؤسس حضورها الفعال والتميز ، ولتساعد على تفهم ومعرفة الأحداث التي تحيط بنا وحل كثير مما يواجهنا في المسارات الحياتية المحكومة بالإمكانات والقيود الاجتماعية مثلما

هي محكومة بالأهداف والغايات التي يقصدها سلوكنا وتصرفنا إذا: " فجوهر الاستراتيجية يقوم على جانبين اثنين تخطيط ينجز، ومقاصد تتوخى " ⁽⁷⁾.

والاستراتيجية في نظر الشهري هي: " خطة في المقام الأول، للوصول إلى الغرض المنشود وبما أنها كذلك، أي خطة فهي ذات بعدين أولهما البعد التخطيطي، وهذا يتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما البعد المادي الذي يجسد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلا .

ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيسي فهو الذي يحلل السياق، ويخطط لفعله ليختار من الإمكانيات ما يفي بما يريد فعله حقا ويضمن له تحقيق أهدافه " ⁽⁸⁾.

إذن فالإستراتيجية قوامها كالاتي :



أما ميشال فوكو ⁽⁹⁾ " فيستعمل كلمة إستراتيجية بثلاث معان :

أولا : للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة .

ثانيا : للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة.

ثالثا: التدليل على مجمل الأساليب المستخدمة لمجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام « Michel Foucault ».

وبناء على هذه المعان الثلاث يحدد "ميشال فوكو" مفهومه العام للاستراتيجية على أنها عمل عقلي مبني على افتراضات مستبقة وتتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها. ويتوخى

المرسل استراتيجيات قد تفوق الحصر في عملية التواصل في الحياة اليومية إلا أنه يمكن تصنيفها تصنيفاً عاماً لينتظم عقدها حسب معايير واضحة ودقيقة وهي ثلاث معايير⁽¹⁰⁾.

1- معيار اجتماعي ----- ← معيار العلاقات التخاطبية

2- معيار لغوي----- ← معيار شكل لغة الخطاب.

3- معيار هدف الخطاب-- ← الهدف

وهناك من يرى أنّ الاستراتيجية: أصلها عربي وتعني "سترات ذي" - "سراط ذي" بالإضافة المعكوسة، وتصبح سراطي بعد إسقاط حرف الذال ، كما هي الحال في الصياغة العربية لعدد من الكلمات ، بالإضافة المعكوسة ومعناها الطريق والمسار، وبدلاً من أن نقول: إستراتيجيتنا نقول سراطينا أو سراطينا وهذا يساوي المعنى نفسه، وفي القرآن الكريم: "السراط المستقيم" مما يعني الطريق أو الاستراتيجية القويمة التي لا عوج فيها، وهذا ما يقوله الناس في معنى استراتيجية⁽¹¹⁾.

(2) مفهوم الاستراتيجية في الخطاب :

تسلل مصطلح الاستراتيجية إلى التداولية و عُد أحد اتجاهاتها الهامة ، خاصة بعد دخوله إلى الدراسات اللسانية المتمحورة حول الخطاب في صورة الاستعمال والتواصل، ليعبر بوضوح عن الآليات والطرائق اللغوية الناجعة التي يسلكها المتخاطبون في العملية التواصلية التخاطبية ليحققوا بذلك التفاعل الاجتماعي، وما يضمن للخطاب نجاحه وتوفيقه والتي يعبر عنها عادة ب: التجربة، والخبرة، والحنكة، والدراية، والمهارة، والصدق، والتنبؤ، والتوقع، وحسن التصرف، واتخاذ القرارات الصائبة والرأي السديد . وكل هذه المعاني إنما هي مجرد تخطيط ذهني عقلي يتفاوت فيه الناس ، فكل حسب قدراته ومقصده من الحديث وهو ما يطلق عليه اسم الكفاءة، والاستراتيجيات هي محور الفصل الثالث من هذا البحث أين سنتعمق ونوضح هذا النسق المعرفي التداولي الهام ونحدد أهمها وأكثرها استعمالاً في الخطاب الرسائي الديواني⁽¹²⁾.

والاستراتيجية كما تتوقف على المرسل تتوقف أيضاً على المرسل إليه، فهو بدوره يبحث عن الاستراتيجية المناسبة للرد على ما قيل له ، حتى يكون مقنعاً و مؤثراً في الوقت نفسه لأنه سيكون هو المرسل في الحوار بعد أن كان مرسلًا إليه في العملية التواصلية .

ويرى " منير التريكي " موضحا موضوع هذا الاتجاه اللساني ومعنى هذه الظاهرة التي أصبحت ذات حضور كبير في المجال اللساني: " أنها تركز على دراسة التفاوض الاجتماعي بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي وتشدد على أهمية التسلسل في صيرورة الأحداث الكلامية "(13).

وتتجلى الاستراتيجية في مجال طرائق استعمال اللغة في وظائفها المتغيرة من موقف لآخر (14):

(أ) موقف إعطاء معلومات واقعة

(ب) الاستفهام عن واقعة معينة .

(ج) الدلالة عن موقف انفعالي

(د) الاستفهام عن كلمة أو أمر .

(هـ) الطلب إلى أحدهم القيام بعمل ما .

يراعي المرسل السياق لخطة إنتاجه للخطاب، فلا خطاب دون انخراطه في سياق معين، كما لا يتضح دون استعمال العلامات المناسبة، فهو إما يستعمل الأسلوب اللغوي المحض، أو الأسلوب غير اللغوي ناشدا في كل مرة هدف التأثير في المتلقي ولبلوغ ذلك يستعمل الناس اللغة بكيفيات منظمة ومتناسقة تتناسب ومقتضيات السياق إذ يؤخذ بعض من هذا التنظيم في الحقيقة التي تقول أن الناس ينتمون إلى جماعات اجتماعية مما يجعلهم يتبعون نماذج من السلوك العام والمتوقع داخل الجماعة .

[...] ويؤخذ المصدر الثاني للتناسق في استعمال اللغة في حقيقة أخرى تقول إن أغلب الناس الذين ينتمون إلى المجتمع اللغوي ذاته يمتلكون معرفة العالم بشكل متشابه كما أنهم يشتركون في كثير من المعارف غير اللغوية "(15)

ويتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب فيما يسمى باستراتيجية الخطاب وهذا يعني أن الخطاب المنجز يسبقه تخطيط وبصورة أو صفة مستمرة وشعورية واعية، فكلما تغير الموقف تغيرت معه استراتيجية الخطاب، والتي لها ما يناسبها من الطرائق الخطابية الملائمة التي عني بها العالم اللساني " لودفيج فتجنشتاين " Ludwig wittgenstein "(*) باسم الألعاب اللغوية، فالمرء إذ لم يمتلك قدرة التصرف باختيار الطريقة المناسبة للموقف المناسب أو خلط بينهما، لم يحقق التجاوب والتفاعل والاستحسان، والقبول المرجو، ليس ذلك فحسب، بل تبدو أيضا في أسلوب انتقائنا للكلمات التعبيرية وشحنها بالانفعالات المختلفة حتى نمارس تأثيرنا الملموس من خلال تنوع وتلوين الاستراتيجيات وذلك حسبما تقتضيه الضرورة والحاجة ومجمل القول، إن الذي ينتج الخطاب بممارسته في صورة بسيطة

أو في شكل خطاب إبداعي يسعى قدر طاقته إلى الانتقاء والتخيير وتلمس الأصوب و الأكثر تأثيراً في المتلقي حتى يبدو لناظره قائداً في ميدانه وهو يستخدم اللغة ويستعملها .

" لا يمكن تحديد وظيفة اللغة التداولية بمعزل عن الاستراتيجيات التي يستخدمها المرسل ، ولا يمكن تحديد هذه الاستراتيجيات التي يتوخاها في الخطاب بمعزل عن المقاصد التي لديه ، وعن المرسل إليه والسياق بعناصره المتعددة " (16).

ويتحتم على المرسل أن يختار الاستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن يعبر بها عن قصده وتحقق هدفه بأفضل حال، ففعل الاعتذار مثلا يتحقق عبر خطابات كثيرة كل خطاب منها يمثل استراتيجية من خلال التمايز بين بعضها البعض والفيصل في استحسان أجدائها من هذه الوجه يعود إلى اعتبار السياق الذي ينجز المرسل خطابه فيه بما في ذلك قصده الذي يريد التعبير عنه، مما يحيل الخطاب إلى فعل اجتماعي، وعليه فليس: " استخدام اللغة أثرا أو انعكاسا للتنظيم الاجتماعي أو العمليات فحسب ولكنه جزء من العمليات ذاتها " (17) واختيار أي نمط من الاستراتيجية دون أخرى تتدخل فيه كفاءة أو قدرة ذاتية تميز كل فرد عن آخر وهذا ما يؤكد فخر الدين الرازي بقوله: " إنّ الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير فمنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات وكل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل؛ كانت الآثار صادرة عن النفس النطقية في حقه أعظم، وكل من كانت تلك القدرة في حقه أقل ؛ كانت تلك الآثار أضعف [...] لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء ، ينفصل كل مقام عن مقام " (18).

ويمكن تسمية هذه القدرة بالكفاءة التداولية فما هي الكفاءة التداولية ؟.

3) الكفاءة التداولية : حسب " فان ديك " تتكون الكفاءة التداولية من خمس ملكات هي:

1- الملكة اللغوية، 2- الملكة المنطقية، 3- الملكة المعرفية، 4- الملكة الإدراكية، 5- الملكة الاجتماعية (*).

يمكن إجمال هذه الملكات في قالبين: 1- قالب القدرة اللغوية وقالب السياق .

وهذا ما يذهب إليه المتوكل: " تقسم هذه القوالب إلى فئتين هما قوالب آلات وقوالب مخازن، تضم الفئة الأولى القالبين النحوي والمنطقي [...] في حين تضم الفئة الثانية القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي " (19) وحسب الشهري فإن: " تتطافر هذه القوالب أو تتوالى تلك القوى في عملها لإنتاج الخطاب هو ما تصنعه الكفاءة التداولية إذ تبلور فيها عملية استثمار تلك الملكات بوصفها عناصر مكونة لها " (20). يعود نجاح أو إخفاق الإنسان في اختيار الاستراتيجية المناسبة لتحقيق هدفه

من العملية التواصلية إلى كفاءته وبراعته التداولية ومرد ذلك إلا أن الخطاب في معظمه كلام، إلا أنه كلام يجري مجرى الفعل، والكلام بهذا الاعتبار عمل ماهر، حسب تعبير هـدسون ("Edison"): "لأنه يتطلب مجهوداً وتعتمد درجة النجاح والتوفيق فيه على قدر المجهود المبذول، وهو عمل ماهر لأنه يتطلب معرفة نظرية ويعتمد النجاح في ذلك على درجة المراد الذي حصل عليه الفرد وبهذا [...] يمكننا القول بأن الكلام أكثر نجاحاً في بعض الأحيان، عنه في أحيان أخرى، وقد يتقنه بعض الناس أكثر من بعض" (21).

وقد اختار بعض النقاد مصطلحاً آخر للاستراتيجية في الخطاب وهو مصطلح الاحتيال يقول شكري المبخوت: "وقد محض النقاد لهذه الظاهرة مصطلح (الاحتيال) واعتبروه سلاح المتكلم في مواجهة المخاطب للوصول بسياسته إلى مبتغاه ، فمصدر التأثير الذي يكون للكلام في السامع إنما هو (الحيلة)....." (22).

ونحن في صدد التعامل مع اللغة في الاستعمال ، دراسة تداولية تعنى بكيفية إنتاج الخطاب، اعتماداً على مختلف الاستراتيجيات في الرسائل الديوانية، وعليه فاستراتيجية الخطاب ترتكز على أساسين، الأساس الذهني، والأساس التجسيد على الواقع، فهي بهذا تمر بثلاث مراحل مهمة (*)

1- إدراك السياق الجاري فيه التواصل .

2- تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة.

3- التلفظ بالخطاب .

وكنتيجة يمكن القول بأن الاستراتيجيات الخطابية لم تلق العناية ولم تحظ بدراسة مستقلة في اللغة العربية تبرز خصائصها ، وتظهر دقائقها، لا في القديم ولا الحديث ولا في الدراسات العربية ولا الغربية، فمن الضروري الاهتمام أكثر بما أفرزه المنهج التداولي من مفاهيم وتوظيفها لاستثمار نتائجه في الحياة بصفة عامة لما لإستراتيجيات الخطاب من أهمية في شتى مجالات الحياة ، فهي الطرائق الموصلة للمقاصد وتضطلع بإدارة دفة الحديث مهما كان نوعه.

قائمة المصادر والمراجع :

1 ينظر : الموسوعة العسكرية ، مجموعة من المؤلفين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د ط ، بيروت ج1ص66-67 .

2 الجنرال اندريه بوفر ، مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية : تراكم ديري والهيثم الأيوبي ، دار الطليعة ط3 1978 ، بيروت لبنان ، ص118.

3 ينظر: الموسوعة العسكرية ، مرجع سابق ص68.

(*) المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيات) ، محمد التونجي و راجي الأسمر، دار الكتب لبنان ، بيروت ، ط1/2002 ص860 : " أنها من الألفاظ الدخيلة المقترضة من العصر الحديث ، الاصطلاح الأجنبي " loan Word " فهي محكومة بسنن التعريب وقوانينه الحديثة ، فيما أنجزته المعاجم اللغوية ، ومما دعت إليه الحاجة اللغوية ، هكذا أصبحت الكلمة عبارة عن مصدر صناعي " بإضافة ياء مشددة وتاء مربوطة- تستخدم بصيغة- المفرد والجمع - إستراتيجية واستراتيجيات - ويصح عنها الوصف للموصوف ، بصغة التأنيث والتذكير : رؤية إستراتيجية وتفكير استراتيجي " وهو قرار صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة صدر في الجلسة الثانية والثلاثون من مؤتمر الدورة الأولى .

4 لمزيد من الإطلاع : ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص52

5 علاء الدين هلال ، مفهوم الإستراتيجية في العلوم الاجتماعية ، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي ، عدد 04 أبريل 1982 ، القاهرة ، ص75.

6 عبد الرحمان العبدان وراشد الدويش ، استراتيجيات تعلم اللغة العربية (بوصفها لغة ثانية ، مجلة أم القرى (قسم اللغة العربية وأدائها) السنة العاشرة ، العدد 16 ، (1418هـ/1997م) ص324.

7 ينظر: مفهوم الاستراتيجية في العلوم الاجتماعية : ص 76

8 ص 54 وما يليها.

9 ميشال فوكو، مسيرة فلسفية اوبيير دريغوس وبوراينوف، تر: جورج أبي صالح، مراجعة وشروح مطاوع صفدي، مركز الإنماء القومي لبنان ، بيروت ص 200.

10 مقال منشور بموقع الجزائر اليوم ، الساحات العسكرية ، القوات البرية المسلحة ، بعنوان : مكانة الخطاب الاستراتيجي بين النظرية والتطبيق بتاريخ: 2010/08/17 على الساعة 11.42 سا .

11 ينظر: الموسوعة الحرة : ويكيبيديا (wikipedia) على الموقع : <http://www.ar.wikipedia.org>

12 مقال بقلم محمد رشيد ناصر ذوق ، الأربعاء 20 أبريل 2011.

13 ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

14 منير التريكي ، آليات تحليل الخطاب السياسي ، الحياة الثقافية ، العدد 132 السنة 27، فيفري 2002 ، تونس ص05

15 روبرت هـ ، ثاولس التفكير المستقيم والتفكير الأعوج ، تر ، حسن سعيد الكرمي ، عالم المعرفة ، العدد 20 أغسطس 1979 ، الكويت ص12

○ ule ، pragmatics : george ، oxford university press ، p0 . 171996

(*) لودفيج فتجنشتاين (1889/1951) " Ludwig wittgenstein " ولد في النمسا وعاش في إنجلترا ، يرجع له الفضل في اكتشاف طاقته الخلاقة إلى الفيلسوف الانجليزي " برتراسل ، نشر كتاب واحد " رسالة منطقية فلسفية

- (1922)، عرف بنظرية الألعاب اللغوية - ينظر مدخل إلى اللسانيات التداولية ، الجيلالي دلاش ، ترجمة : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر بن عكنون 1992 ص18.
- موقع الجزائر اليوم ، الساحات العسكرية (القوات البرية المسلحة) : مقال بعنوان مكانة الخطاب الاستراتيجي بين النظرية والتطبيق (مرجع سابق .
- 1997p1.Paul 161Roger fouler and others : language and control routledge and kega 18
- 17محمد فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1403هـ/1983م)ج26ص187/188
- (*) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي) 18 دارالإمان ، الرباط 1995 ، ص17.
- 19 أحمد المتوكل، المرجع نفسه ، ص30
- 20 مرجع سابق ص59.
- 21 علم اللغة الاجتماعي ، تر: محمود عباد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2/1990، ص177.
- 22 شكري المبخوت ، جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي) بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، ط1/1993، ص21 .
- (*) عبد الهادي بن ظافر الشهري : ص63